



## الاعتبار بمرور الزمن

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبد الله ورسوله اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين،

وبعد أيها الأحباب: مضى عام، وجاء عام جديد، وهكذا الدنيا كما قال رب العالمين: {يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِزَّةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ} {النور: 44}، ولنا في انقضاء الأيام والأعوام عبرة وعظة؛ فكما مضت وانقضت أيامنا وأعوامنا ستمضي وتنقضي كذلك أعمارنا وحياتنا الدنيا وسنمضي للحساب بين يدي الله الواحد الديان، وللسؤال عما قدمنا في حياتنا الدنيا، فهلا حاسبنا أنفسنا قبل أن نحاسب؟ وهلا أعددنا للسؤال جوابًا قبل أن نُسأل؟ يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب بلا عمل" فانتهبوا عباد الله قبل فوات الأوان؛ فنحن نعيش أيامًا تقارب فيها الزمان، فما أسرع انقضاء الأيام والأعوام كما عند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، فتكون السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كالיום، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كاحتراق السَّعْفَةِ- أي ورقة النخيل]-

فالعاقل هو من اعتبر بمرور الزمن، وحاسب نفسه قبل أن يُحاسب، وأعد للسؤال جوابًا قبل أن يُسأل، وهذا ما ينبغي على كل عاقل طالب للنجاة بين يدي الله عز وجل أن يفعله كما قال رب العالمين: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} {الحشر: 18} على كل عاقل أن ينظر دومًا في حق الله عز وجل عليه، ما هو حق الله تعالى على عباده؟ ثم بعد ذلك ينظر في نفسه هل قام بهذا الحق كما ينبغي أم لا؟ هل أدبت الفرائض؟ هل وقفت عند حدود الله وما تعديتها؟ هل ابتعدت عن المحرمات وما انتهكتها؟ هل سكت عما سكت الله عز وجل عنه رحمة من غير نسيان؟ وتلك هي محاسبة النفس كما عند الدارقطني من حديث أبي ثعلبة جرتوم بن ناشر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودًا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها]، محاسبتك لنفسك وأنت على قيد الحياة في الدنيا تهون وتسهل عليك أمر الحساب في الآخرة كما قال الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا؛ فإنه أهون عليكم في الحساب غدًا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية"

كل لحظة انقضت من حياتك فهي لحظة اقتربت فيها من الوصول في طريق السير إلى الآخرة "فقد لقي الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى رجلاً، فقال له الفضيل: كم عمرك؟ قال ستون سنة، فقال له الفضيل: إذا أنت منذ ستين سنة تسير إلى الله توشك أن تصل، فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال له الفضيل: يا أخي هل عرفت معناه؟ قال الرجل: نعم عرفت أنني لله عبد، وأني



إليه راجع، فقال الفضيل: يا أخي من علم أنه لله عبد، وأنه إليه راجع عرف أنه موقوف، ومن عرف أنه موقوف علم أنه مسؤول، ومن عرف أنه مسؤول فليعد للسؤال جواباً، فبكى الرجل، وقال: يا فضيل وما الحيلة؟ قال الفضيل: يسيرة، قال الرجل: وما هي يرحمك الله؟ قال الفضيل: أن تتقي الله فيما بقي، يغفر الله لك ما قد مضى وما قد بقي".

عباد الله: رحيل عام ومجي عام آخر يقربنا أكثر وأكثر من نهاية حياتنا الدنيا، وينبغي أن يقربنا أكثر وأكثر من الله عز وجل، تنام اليوم على فراشك وربما تنام غداً في قبرك فانتبه، أيها الغافل استيقظ من غفلتك في الدنيا قبل أن تنتبه فلا ترى إلا ظلمة القبر ووحشته، يا من لا تصلي صلي قبل أن يُصلى عليك، يا من تنظر إلى الحرام، وتفعل الحرام، وتأكل الحرام متى ستتوب إلى الله عز وجل، والموت يأتي بغتة: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَحْشُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْعُزُورُ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } {لقمان: 33-34}، فعودوا إلى ربكم، واغتنموا الحياة قبل الممات.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

كتبه فضيلة الشيخ / عبد الحي عيد سرحان- مبعوث وزارة الأوقاف المصرية إلى البرازيل.